

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمته النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصياً.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن المخلص المسيح قد دعاه، وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولاً للأمم. وأكد أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، الذي يتحد معه المؤمن في موته وقيامته. وبرهن الرسول بولس من إبراهيم الخليل أن الإنسان يتبرر بالإيمان وليس بالشرعية، بينما يجلب الناموس لعنة الله على الإنسان. وقارن الرسول بولس بين موعد الله لإبراهيم وعهد الناموس، فقال أن موعد الله لإبراهيم أن ينسله ستتبارك جميع الأمم، قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. وأن عهد الناموس الذي أتى بعدئذ لم يبطل هذا الموعد. وتساءل الرسول بولس: لكن لماذا أعطى الله الناموس؟ فأجاب أن الشرعية قد أضيفت إلى أن يأتي المسيح، لأن الله أراد أن يحدد للإنسان قواعد القانون الأخلاقي، ولكي يكتشف الإنسان حقيقة طبيعته الخاطئة الفاسدة.

وأضاف الرسول بولس قائلاً: أن الناموس قد زيد "مرتبا بملائكة في يد وسيط". (غلاطية ٣: ١٩) لقد أعطى الله الشرعية إلى بني إسرائيل عن طريق الملائكة، بواسطة النبي موسى الذي هو الوسيط. والسبب لأن عهد الناموس كان عهداً شرطياً، أي محددًا بشروط على بني إسرائيل الذين ارتبطوا بهذا العهد أن يتقيدوا بها. لهذا كان لابد لله أن يستخدم وسيطاً شاهداً بينه وبين بني إسرائيل الذي هو النبي موسى. بينما كان موعد الله لإبراهيم قد صدر من جانب واحد الذي هو الله تعالى، فهو لم يكن عهداً مشروطاً، ولا يفرض على إبراهيم أية شروط أو واجبات. بل كان هبة بالبركة وعدها الله لإبراهيم.

وهذه ميزة أخرى هامة تبين الفرق الشاسع بين موعد الله لإبراهيم وعهد الناموس. لهذا تابع الرسول بولس قائلاً: "وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد." (غلاطية ٣: ٢٠) فعندما يصدر الموعد من جانب واحد، لا لزوم هناك لوسيط ليؤكد هذا الوعد ويسعى لإتمامه، لاسيما أن مصدر هذا الوعد هو الله الواحد نفسه. وهذه ميزة هامة كان يجب على المعلمين من أصل يهودي أن

ينتبهوا لها. إن الفرق كبير جدا إذن بين موعد الله لإبراهيم وعهد الناموس. فلماذا يريد هؤلاء المعلمون العودة إلى التمسك بالناموس، رغم أن موعد الله لإبراهيم قد تم وأصبح متوفرا للإنسان عن طريق الإيمان بالمسيح؟

وهنا تسأل الرسول بولس قائلا: "فهل الناموس ضد مواعيد الله. حاشا. لأنه لو أعطي ناموس قادر أن يحيي لكان بالحقيقة البر بالناموس." (غلاطية ٣: ٢١) أي أن الرسول بولس تسأل: إذا كانت وعود الله لإبراهيم هي الأساس، وهي التي وعدت بالخلص للإنسان، فهل هذا يعني أن شريعة الله أي الناموس الذي أتى بعدئذ، يناقض مواعيد الله هذه؟ أجاب الرسول بولس على تساؤله هذا بالقول، حاشا وكلا. والسبب: لأنه لو كانت الشريعة تستطيع أن تعطي البر أو الخلاص للإنسان، لكانت عندها تناقض وعود الله السابقة لإبراهيم، ولأصبح البر بالتالي من خلالها.

لكن الحقيقة هي عكس ذلك تماما، فالناموس لا يحيي الإنسان. إذ تابع الرسول بولس قائلا: "لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية يُعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون." (غلاطية ٣: ٢٢) أي أن شريعة الله أتت لتكشف للإنسان حقيقة نفسه الخاطئة كما ذكرنا في اللقاء السابق. وهكذا أعلنت كلمة الله المقدسة أن جميع البشر بدون استثناء هم خطاة. أي الذين أعطاهم الله الشريعة، والذين لم تعلن لهم. والسبب لكي يكون الخلاص متوفرا للجميع، عن طريق الإيمان بالمخلص يسوع المسيح. ولهذا سبق لله أن أعطى إبراهيم موعد الخلاص، أن ينسله أي بالمسيح ستبارك جميع شعوب وأمم الأرض.

يبدو واضحا يا صديقي من كلام الرسول بولس في رسالته إلى غلاطية، أن عهد الناموس كان عهدا مؤقتا، أقامه الله مع بني إسرائيل، إلى أن يأتي المخلص المسيح ويتم موعد الله لإبراهيم بالخلص، كما ذكرنا سابقا.

ولهذا أضاف الرسول بولس قائلا: "ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن. إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان." (غلاطية ٣: ٢٣-٢٤) لقد أنزل الله شريعته على كليمه النبي موسى، لكي تعلن للإنسان القانون أو المبادئ الإلهية التي يريد منه أن يسلك على ضوئها. أي كان الناموس كمن يحرس الإنسان ويحفظه، إلى أن يعلن الخلاص عن طريق الإيمان. وبتعبير آخر أتت الشريعة كعهد مؤقت ما بين الله والإنسان الممثل ببني إسرائيل. عهد مؤقت بين موعد الله لإبراهيم بالخلص عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، وبين تحقق الموعد بمجيء هذا المخلص. ولهذا اعتبر الرسول بولس بالروح القدس طبعاً، أن الإنسان كان قاصرا في زمن الشريعة، كالطفل أو الولد القاصر، ولهذا فهو كان بحاجة إلى وصي يؤدبه أي يشرف عليه، ألا وهو الناموس، إلى أن يبلغ مرحلة الرشد والرجولة. أما الغرض من ذلك فقد كان لكي يتحقق هدف الله الذي وضعه منذ البداية، أن يبرر الإنسان أي يخلصه عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، وليس عن طريق العمل بالناموس أو الشريعة.

ثم تابع الرسول بولس قائلًا: "ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع." (غلاطية ٣: ٢٥ و ٢٦) أراد الرسول بولس القول في هذه الآية، أن مجيء المخلص يسوع المسيح قد أنهى هذا العهد المؤقت بين الله والإنسان، أي عهد الشريعة. ولم يعد بالتالي الإنسان في مرحلة الطفولة بحاجة إلى هذا الوصي أو المؤدب. لكنه على العكس من ذلك أصبح كل من يؤمن بالمخلص المسيح من أولاد الله. أي دخل في عهد جديد مع الله، وصار خليفة روحية جديدة، تقاد بروح الله القدوس، وليس بفرائض الناموس، وتسعى لصنع البر والصلاح. ولهذا كتب البشير يوحنا في بشارته قائلًا: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (يوحنا ١: ١٢ و ١٣)

مستمعي الكريم، إن كل من يؤمن اليوم بالمخلص المسيح، يصبح من أولاد الله المبررين، أي من الذين تغفر خطاياهم وينالون خلاص الله الكامل. أليس هذا أمرا عظيما أن يصير الإنسان من أولاد الله؟ ألا ترغب مستمعي أن تصبح من أولاد الله المبررين؟ أولا تتوق أن يغفر الله ذنوبك ويخلقك خليفة روحية جديدة؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي تم موعده الله لإبراهيم الخليل بالخلاص للبشر جميعا.